الجمهوية الجزائرية الديموقراطية الشعبية

كلية العلوم الأنسانية و الأجتماعية

جامعة سطيف 2

قسم التاريخ و الآثار

مقياس: الآثار الريفية في المغرب القديم

ماستر 2 أُثار

المحاضرة رقم 1

- مدخل إلى المعالم الريفية:

إن نشأت المدن وتطور العمران داخل المدن و حتى كثافة الشبكة العمرانية خلال الفترة القديمة لايكون مصدره إلا الأرض مصدر الرخاء وعصب الحياة الاقتصادية آنذاك .لقد كشفت الأبحاث الأثرية الحديثة عن كثافة المراكز الريفية في محيط المدن القديمة و أهمية بعض المنشآت الزراعية و التي لا يمكن تعميمها ذلك بحكم معطيات معينة تتحكم فيها المعطيات الطبيعية(التضاريس،المناخ،التربة،الغطاء النباتي) .لقد سار في هذا المجال

اي مجال البحث فيما يخص الآثار الريفية عدة باحثين منهم: Jean Peyras ،Pol Trousset ،Philippe Leveau ، Brent Shaw .وفي هذا الجانب تطرح عدة تساؤلات حول ما دون و وثق من قبل الباحثين و المتوفرة حاليا،و التي نجد من أبرزها ماقدمه الباحث Ph. Leveau حول القيصرية و ريفها .ضف الى ذلك الابحاث الأثرية لكل من BaradezوMorisot من خلال أعمالهم الاستكشافية المتمثلة في المسح الجوي و التي بينت بشكل واضح مدى كثافة المراكز العمرانية في عدة آماكن. كما إن مجمل التساؤلات و الأفكار المبنية على المعطيات الميدانية للآثار المادية التي تعود إلى الفترة الرومانية ترتكز على محاور أساسية تتمثل في:

-التحريات و المسح الأثري

_ المصادر الأدبية

_المصادر التاريخية و الأبيغرافية

-الحفريات الأثرية

لقد ساعدت المصادر الأدبية في فهم عديد المسائل المرتبطة خاصة بالتواجد الروماني بشمال إفريقيا انطلاقا من التعمير البشري و آثاره المادية عبر مختلف المقاطعات الرومانية .منها ماورد عن المؤرخ الإغريقي Polybe

(historien grec – 201 / 120)) الذي يصف الملك مسينيسا بأنه علم الأفارقة الزراعة خاصة في الجهة الغربية من قرطاج و هذا مايؤكده ديودور الصقلي الذي عاش خلال القرن الأول قبل الميلاد من ناحية التوثيقية فقد قدمت لنا الكتابات اللاتينية عدة أمثلة تمثلت في نصوص قوانين تعود إلى الفترة الرومانية منها الكتابة الأثرية التي عثر عليها بهنشيير متيش و الذي يقع ضمن مقاطعة البروقنصلية تعود إلى فترة حكم الإمبراطور تراجان و التي مكنت الباحثين من التعرف على قانون منكيانا lex Manciana وقد امتد اثرها الى غاية الفترة الوندالية ذلك ما أوضحته لوحات البرتيني المكتشفة جنوب تبسة يسمح هذا القانون للخواص باستغلال الأراضي التي لم تمسها عملية الكنترة و لم تستصلح بعد.كما يمنح هذا القانون عند استغلال هذه الأراضي من قبل المعمرين حق الإرث .هنالك من الكتابات الأثرية التي تعود إلى فترة حكم هادريانوس (نص الجمالة) ،ونص عين واصل الذي يعود الى فترة السيفيرية هذا الأخير الذي يخص إدارة و تسير أملاك الإمبراطورية.و في المقابل فان قانون منكيانا يسمح بتوسيع الزراعة و إدخال أنواع جديدة خاصة الزيتون و الكروم فهي بالتالي بمثابة الثورة

الزراعية خلال الفترة الأنطونية و السيفيرية .و هذا ما يسمح للمعمرين بتنويع منتوجاتهم الزراعية و ذلك بالتوجه نحو رزاعة جديدة الا وهي زراعة الأشجار المثمرة arboriculture و التي اعتبرت أكثر مرودية من زراعة الحبوب la céréaliculture كما شجع هذا القانون على استغلال الأراضي البور.كما تؤكده كتابة المكتشفة بمكثر (تونس) المؤرخة بمنتصف القرن الثالث للميلاد و هي محفوظة حاليا بمتحف اللوفر بفرنسا توضح هذه الكتابة الوظائف التي شغلها حتى وصل الى ما هو عليه حيث بدا كفلاح بسيط يعمل في الحقول إلى أن أصبحت له ملكيته الخاصة أي ضيعة

المحاضرة رقم 2

- **الفيلات في المغرب القديم:**

إن الأبحاث الأثرية في الفضاء الريفي تعد قليلة ،كما انه هنالك القليل فقط من الأبحاث حول المنشآت الزراعية لكن في المقابل اعتمد الباحثون على المعارف السابقة من مصادر ادبية و مصادر تاريخية هذا الى جانب المعطيات الأثرية

المتمثلة في آثار الفيلات و مختلف المنشآت الأخرى التي لها علاقة بالعالم الريفي،بحيث سمح التطور الزراعي أو بالأحرى نمو النشاط الاقتصادي ظهور شبكة من الفيلات التي تشكل قاعدة للطبقة الأرسطوقراطية العمرانية.كما ان تحديد طبيعة هذه العمائر يسمح بمعرفة التنظيم الاجتماعي و الاقتصادي في الفضاء الريفي.

الفيلات (villae):هو مكان اقامة ريفي خاص ضمن ريف المدينة ذات الطابع الأستغلالي المنم عن رومنة الأرياف.وهي بصفة عامة تمثل ضيعة و مركز عقار فلاحي(fundus).ذات العلاقة بالنشاط الزراعي او الحرفي(الفخار او التعدين).حسب varron و columelle فان الفيلا مقسمة الى قسمين رئسيين pars urbana و هو القسم المخصص للإقامة و pars rustica فلاحي .و هذا ما تم تاكيده من خلال الحفريات و المسح الأثري الجوي.مساحة الضيعة مختلفة من الضيعات الصغيرة العائلية (22x10م) Frilford الى القصور الريفية ذات المساحة الكبيرة هذا التحول في العمارة الريفية عرف في فترة متأخرة عموما بعد القرن الثالث للميلاد.وقد أوضح الباحث Leveau بان الأشكال التنظيمية للفضاء العمراني حول موريطانيا

القيصرية قد خضعت إلى عامل واحد هو دور المدن و منتخبيها في تنظم عمرانها.وما خلص اليه هذا الأخير هو ان الريف الذي مسته الرومنة نجد فيه شبكة من فيلات و ضيعات،اما التي لم تعرف الرومنة تكون خالية من الضيعات.و يرى Ph. Leveau بان الفيلات تكون قليلة في المناطق التي تكون فيها المدن قليلة. بحيث احصى حولي 70فيلا منها 36 قام بوضع مخططاتها مساحاتها متنوعة بين المراكز الفلاحية الكبيرة (اكثر من 2400م2 الى غاية المنشآت البسيطة التي قدرت مساحتها بين (1000م و600 م).من الناحية الاجتماعية و الأقتصادية فهي تمثل قاعدة الريف بنية الأستمار بامتياز للطبقة الأرسطوقراطية و البلدية يمكن القول بان الرومان لم يخترعوا المستثمرات الفلاحية .لقد سمحت عمليات المسح الأثري الأرضي او الجوي التعرف على عديد الفيلات و مخططاها واضحة.لكن قلة الحفريات شكل عائقا في اعطاء التطورات الكرونولوجية.من جانب آخر فان الفسيفساء قد ساعدت بشكل كبير في معرفة الملامح المعمارية لها هذا ما أكده الباحث Sarnovski 1978 و التي تتطابق مع الواقع خاصة مع الفيلات الفخمة (villas-palais).من جانب آخر نجد التجمعات العمرانية

منها كاستيلا سهول سطيف ،فبعد قرن من الزمن من تشيد مستعمرة سطيف من قبل الإمبراطور نيرفا عثر على كتابات لاتينية تشير الى بناء جدارن من قبل السكان (فلاحي المستثمرات الكبيرة) الذين حافظو على نشاطهم الأقتصادي و اصبحو لهم تحصين لملكيتهم (castillani) هذا التحصين الذي يشهد على درجة من الرفاهية و الاستقلالية لهؤلاء الفلاحين و هي تعد مثال حي لتجمع عمراني يرتكز على شروط قانونية و اقتصادية لمجتمع ريفي.

من بين امثلة عن الفيلات نجد آثار سيدي صالح بضواحي شرشال والتي لاحظ فيها الباحث **leveau** تخطيطها المنتظم و كذا نوعية المواد المستعملة في البناء.كما البقايا الفخارية التي عثر عليها أرخت لكل من فيلا سيدي صالح و فيلا بوعلام بين القرنين الثاني و الثالث ميلادي و استمر تعمير الموقعين الى الفترة القديمة المتاخرة.وهي حسب الباحث LEVEAU تعد من الفيلات الهامة بريف القيصرية فهي مكان راحة للأغنياء القيصرية و نواة لمراكز فلاحية ذات أهمية اقتصادية.

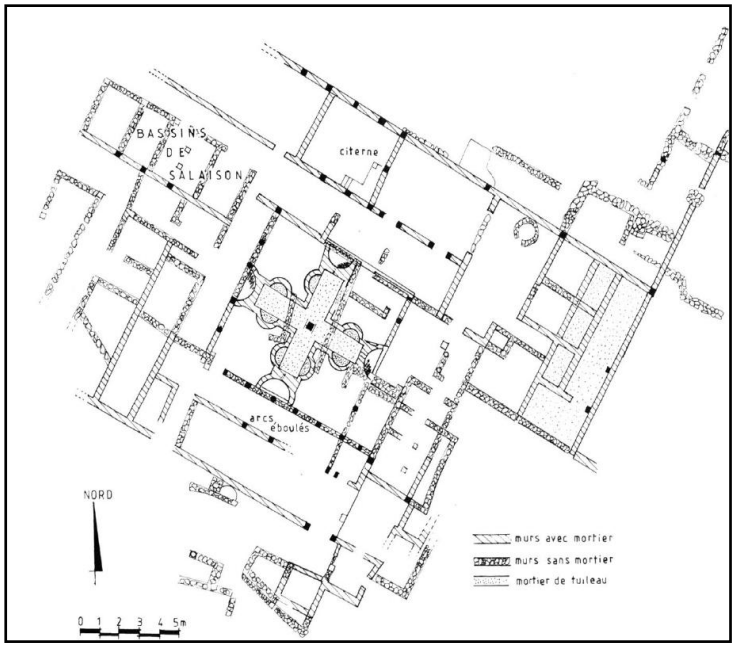

مخطط آثار فيلا الجزر الثلاث (شرشال)

تعد فيلا الجزر الثلاث و تلفزا من اكبر الفيلات الواقعة على الساحل بضواحي شرشال .من بين الامثلة كذلك عن الفيلات :فيلا بومبيانوس(واد العثمانية–ميلة) والتي تعتبر الآثار الهامة التي تبين بشكل واضح من خلال مخططها و الفسيفساء التي عثر عليها اثناء الحفريات و التي تعطينا صورة واضحة عن الفيلات في الريف.وهي تؤرخ بنهاية القرن الرابع و بداية القرن لخامس للميلاد.

أما فيما يتعلق حيازة الأراضي وفقا للمعطيات التاريخية و الأثرية فقد كانت كالتالي:

1.أراضي الإمبراطور: يمارس عليها الإمبراطور صلاحياته الخاصة و تدخل عائداتها لخزائنه الخاصة بعيدا عن جباية الخزينة الحكومية Fiscus.

2.أراضي ارستقراطية و التي تتمثل اعضاء من مجلس الشوخ (senatus) و قد كانت تشمل اراضي زراعية (ager privatus)و اخرى رعوية اي براري (saltus privatus).لدينا عديد الأمثلة عن هذا النوع من الملكيات:saltus sorothensis، saltus africanus.

3.أراضي المستعمرات(colonia) و البلديات (Municipium) و المدن الحرة (civitas) كان يملكها المزارعون الرومان و الأسر الأرستوقراطية المحلية و الجدير بالذكر أن المعمرين من المزارعين ممن استفادوا من مشاريع الاستيطان الروماني و فاضحو من الأثرياء .

4.أراضي العشائر الليبية(Gens):تتمثل في الأراضي و المراعي الأقل خصوبة او التي تقع ضمن تضاريس طبيعية غير الملائمة للمزارعين الرومان.وعلى الرغم من ذلك فقد أدرجت ضمن أملاك الإمبراطورية الرومانية بحيث شملتها عملية الكنترة هذه الأراضي التي عرفت خاصة

خلال القرن الثالث ميلادي زراعة شجرية مكثفة.و التي عرفت انتشارها الى غاية جنوب الأطلس التلي(الأوراس،الحضنة).

المحاضرة رقم 3(تابع)

لقد عمد الرومان الى الأستيلاء على العديد من الآراضي و ضمها الى ملكياتهم من ضمنها الضيعات خاصة الطبقة الأرسطوقراطية ومن جانب آخر هو اعطاء اراضي للمعمرين الوافيدين من ايطاليا و كذا قدماء الجنود المحاربين و قد اضحت هذه السياسة خاصة مع المبراطور ادريانوس من خلال قانون LEX ADRIANA و ذلك بتقديم امتيازت منها حق الملكية(Possesores) فهم يستفدون من حق الأنتفاع الشخصي (isus proprius) و نتج عن هذه

السياسة المنتهجة من قبل الرومان الذين منحوا امتيازات معينة للمعمرين المنشآت الزراعية و الضيعات سواء للملاكين الصغار أو الملاكين الكبار و ذلك من خلال تشيع زراعة الأشجار المثمرة والتي عرف فيها زراعة الزيتون انتشار واسعا.

- **زراعة الزيتون**OLEITAS :

خلال القرن الثاني للميلاد و مع ظهور االتشريعات القانونية المرتبطة بالزراعة و تشجيع استصلاح الأراضي التي ركزت على وجه الخصوص على زراعة الأشجار المثمرة (الزيتون و الكروم).وحسب البعض فان زراعة الزيتون قد عرفت انتشارا واسعا على حساب زراعة القمح ضمن الأراضي التي كانت مخصصة له(ch .Picard) و الحقيقة غير ذلك.لقد كان الطلب متزايدا على مادة الزيت و مشتقاتها في كامل ارجاء الإمبراطورية الرومانية.التي كانت مرتبطة ارتباطا وثيقا بالزيادة السكانية من جهة و من جهة أخرى ماتتطلبه الحياة الحضرية او التمدن الناجم عن الاستقرار.و ارتفاع القدرة الشرائية.و الملاحظ هو ان الحصة الأكبر من هذه المادة أضحت إفريقيا هي المطالبة بتوفيرها.من جانب آخر فان التوسع العمراني ببلاد المغرب القديم و ظهور عديد المدن و أفضل مثال على ذلك نص عين الجمالة المكتشف الذي يوضح طلب المزارعين وهم من سكان الريف الموجه إلى وكيل الإمبراطور يطالبون فيه السماح لهم باستصلاح أراضي مجاورة لهم.مما يوحي من جانب أخر زيادة النمو الديموغرافي.من الناحية

الطبيعية فقد تمركزت في المناطق السهبية القليلة الخصوبة و المنحدرات الجبيلة و التي يكون فيها منسوب تساقط الأمطار قليل هذا بالإضافة الى الأراضي المستصلحة حديثا الغابات و الأحراش.و التي كانت اساس تشريعات قانون منكيانا.من بين الأمثلة على ذلك الشطوط السطايفية الممتدة من سطيف الى سفوح الشمالية للأوراس و التي عرفت انتشار الزيتون و كذا المنشآت الصناعية الخاصة بها.(H.C.Fabrer) .اما فيما يتعلق الظروف المناخية الملائمة لهذه الزراعة فقد استفاد الرومان من عالم الزراعة البوني ماغون و الذي اوضح جل التفاصيل حول معطيات الفلاحة الشجرية.(موسم الغرس،المسافات الوجب تركها بين كل شجرة،نسبة محصول كل شجرة من الزيت(70 الى 90 لتر) لكل شجرة.

ومما استخلص من قبل الباحثين هو التحول العميق و الجذري الذي لوحظ على عدة مستويات:

1.زيادة الكثافة السكانية ضمن المقاطعات الرومانية بما فيها المناطق الجبلية و السهلية

2.انتشار التجمعات العمرانية من مراكز حضرية و ريفية

3. تنوع المنتجات الفلاحية

هذه المظاهر التي تطرقنا لها زادة من الثروة و التي كان أساسها اصطلاح المناطق الريفية و الذي سمح بنجاح الزراعة الشجرية خاصة الزيتون ولم يعرف النشاط الاقتصادي تذبذبا من القرن الثاني إلى غاية بداية القرن الخامس للميلاد.من خلال المسح الأثري الذي قام به الباحث philipe leveau حول شرشال و ريفيها اتضحت عدة نقاط منها: وجود معاصر حضرية ،معاصر في الضيعات (villae)،معاصر صناعية des huilerie industrielles أي متخصصة في العصر(le pressage) .